حياة أعظم الرسل

صِفَاتُ الرَّسُولِ ﷺ

صِفَاتُ الرَّسُولِ ﷺ

كَرَمُ الرَّسُولِ :

لَم يَكُنْ لِرَسولِ اللهِ مَثيلٌ فِي كَرَمِهِ ؛ فَإِنَّهُ لَم يُسأَلْ عَن شَيْءٍ ، فَقَالَ لَا . وَكانَ أَكرَمَ النَّاسِ بِالْخَيرِ ، وَأَجوَدَ (وَأَكرَمَ) ما يَكونُ فِي شَهرِ رَمضَانَ .

وَقد سَأَلَهُ رَجُلٌ ، فَأَعطَاهُ غَنَمًا بَينَ جَبَلَيْنِ ، فَرَجعَ إِلَى بَلَدِهِ ، وَقَالَ : أَسلِمُوا ؛ فَإِنَّ مُحمداً يُعطِي عَطَاءَ مَن لَايخافُ فَقرًا . وَأَعطَى أَكثَرَ مِن وَاحِدٍ

مِائَةً مِنَ الإِبِلِ (الجِمَالِ) .

وذَاتَ يَومٍ حُمِلَ إِلَيهِ تِسعُونَ أَلفَ دِرهَمٍ ، فَوُضِعَت عَلَى حَصيرٍ ثُمَّ قَامَ يُقَسِّمُهَا ، فَلَم يَرُدَّ سائِلاً حَتَّى انْتَهَى مِنهَا .

وَفى يَومٍ أُتِىَ بِمَالٍ لِلرَّسُولِ مِنَ الْبَحرَينِ ، فَقَالَ : ضَعُوهُ . وَكَانَ أَكثَرَ مالٍ أُتِىَ بِهِ إِلَيهِ . فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ إِلَى الْمَسجِدِ ، وَلَم يَلتَفِتْ إِلَى الْمَالِ ، فَلَمَّا انتَهَى مِن الصَّلاةِ جَلَسَ إِلَيهِ ، فَكانَ يُعطِى

كُلَّ مَن رَآهُ . وَلَم يَقُمْ عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ حَتَّى انتَهَى مِن تَوزِيعِهِ كُلِّهِ عَلَى المُحتَاجِينَ .

وَذَاتَ مَرَّةٍ جاءَتهُ امْرَأَةٌ مِنَ الْعَرَبِ ، وَمَعَها بُردَةٌ (وَهِيَ كِسَاءٌ أَسوَدُ مُرَبَّعٌ صَغيرٌ يَلبَسُهُ الأَعرابُ) ، فَقالَت : يَا رَسُولَ اللهِ أَكسُوكَ هٰذِهِ البُردَةَ . فَأَخَذَهَا صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُحتَاجٌ إِلَيهَا ، فَلَبِسَهَا ، فَرَآهَا رَجُلٌ عَلَيهِ ، فَقَالَ مَا أَحسَنَ هٰذِهِ البُردَةَ ! فَأَعْطِنِي إِيَّاهَا يا رَسُولَ اللهِ .

فَقَالَ نَعَم ، وَأَعطاهُ الرَّسولُ البُرْدَةَ ، مَعَ أَنَّهُ كانَ فِي حاجَةٍ شَديدَةٍ إِلَيهَا . وَلَمَّا قَامَ المُصطَفَى لَامَ أَصحَابُهُ هٰذا السَّائِلَ ، وَقَالُوا لَهُ : إِنَّكَ تَعلَمُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ مُحتاجٌ إِلَيهَا ، وَأَنَّهُ إِذا سُئِلَ عَن شَيْءٍ لَا يَمنَعُهُ .

وَذَاتَ يَومٍ أَعطَتهُ امْرأَةٌ ثَوبًا كانَ فِي شِدَّةِ الحَاجَةِ إِلَيهِ . وَبَعدَ قَليلٍ طَلَبَ إِلَيهِ أَحَدُ النَّاسِ شَيئًا يَصلُحُ لِأَن يَكُونَ كَفَنًا لِمَيِّتٍ ، فَأَعطَاهُ ذٰلِكَ الثَّوبَ ، وَهُوَ مُحتَاجٌ إِلَيهِ أَشَدَّ الاِحتِياجِ .

ذَكَاءُ الرَّسولِ

إِنَّ مَن يَتَأَمَّلُ أَحادِيثَ الرَّسُولِ ، وَتَدبِيرَهُ لِلأُمورِ ، وَما أَفادَهُ مِنَ العِلمِ ، وَهُوَ أُمِّيٌّ لَم يَقرَأْ ، وَلَم يَكتُبْ ، وَلَم يَطَّلِعْ عَلَى الكُتُبِ الَّتى أُلِّفَتْ ، وَلَم يَتَعَلَّمْ فِي مَدرَسَةٍ ـــ لَا يَشُكُّ مُطلَقًا فِي أَنَّهُ كَانَ أَذكَى النَّاسِ ، وَأَحسَنَهُم عَقلاً ، وأَقوَاهُم فَهمًا . وَلاَ عَجَبَ ؛ فَقَد أَرشَدَ تِلكَ الأُمَّةَ إِلى الطَّرِيقِ الْمُستَقِيمِ ،

حَتَّى أَحَبَّتهُ كُلَّ الحُبِّ ، وَأُعجِبَت بِهِ كُلَّ الْإِعجابِ ، وَفَدَتْهُ بِأَروَاحِها وَأَنفُسِهَا .

التَّفَانِى فِى مَحبَّةِ الرَّسولِ

قِيلَ إِنَّ امرَأَةً مِنَ الأَنصارِ قُتِلَ أَبوهَا وَأَخوهَا وَزَوجُها يَومَ أُحدٍ ، فَأَخبَرُوهَا بِذٰلِكَ .

فَقَالَت : مَاذَا فَعَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ ؟

قالُوا : بِحَمدِ اللهِ هُوَ كَمَا تُحِبِّينَ .

قَالَت : أَرُونِى إِيَّاهُ حَتَّى أَنظُرَهْ . فَلَمَّا رَأَتهُ قالَت : كُلُّ مُصيبَةٍ بَعدَكَ صَغِيرَةٌ يا رَسولَ اللهِ .

حَيَاءُ الرَّسُولِ

كانَ رَسولُ اللهِ أَشَدَّ النَّاسِ حَيَاءً . وَكانَ لَا يُكَلِّمُ أحدًا بِما يَكرَهُ ، حَيَاءً وَكَرَمَ نفسٍ . وَكانَ مِن حَيائِهِ لَا يُثبِتُ بَصَرَهُ فِى وَجهِ أَحَدٍ . وَإِذَا كَرِهَ شَيئًا ذَكَرَهُ بِطَرِيقٍ فِيهِ أَدَبٌ وَحَيَاءٌ .

حُسنُ عِشرَتِهِ وَأَدَبُهُ

كَـانَ عَلَيـهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ أَوسَعَ النَّاسِ صَدرًا ، وَأَصدَقَ النَّاسِ حَدِيثًا ، وَأَكرَمَهُم عِشرَةً . يُحَـبِّبُ النَّـاسَ وَلَا يُنَفِّرُهُم ، وَيُكـرِمُ كَرِيـمَ كُـلِّ قَـومٍ ، وَيَجعَلُهُ رَئِيسًا مَسئُولاً عَنهُم ، يَنظُرُ إِلَى أَصحَابِهِ ، وَيُعطِي كُلَّ مَن يَجلِسُ مَعَهُ نَصِيبَهُ ، لَا يَظُنُّ جَلِيسُهُ أَنَّ أَحَدًا أَكرَمُ عَلَيهِ مِنهُ . كانَ أَبًا لِلنَّاسِ ، وصَارُوا عِندَهُ فِي الْحَقِّ مُتَسَاوِينَ . وَكانَ دائِمَ الْبِشرِ

(يُقـابِلُ كُـلَّ إنسـانٍ بِوَجـهٍ حَسَنٍ) سَهلَ الخُلُقِ ، لَيِّنَ الجانِبِ ، لَيسَ بِفَظٍّ . يَتَغافَلُ عَمَّا لَا يُحِبُّ ، وَيُجيبُ مَن دَعَاهُ ، وَيَقبَلُ الهَدِيَّةَ ، وَيُكافِئُ عَلَيها .

قَالَ أَنَسٌ : خَدَمتُ الـرَّسُولَ عَشْرَ سِنِينَ ، فَما قَالَ لِي أُفٍّ قَطُّ . وَماقَـالَ لِشَيءٍ صَنَعتُهُ لِمَاذَا صَنَعتَهُ ، وَلاَ لِشَيءٍ تَرَكتُهُ لِماذَا تَرَكتَهُ .

وَكَانَ يُمازِحُ أَصحَابَهُ ، وَيُحادِثُهُـم وَيَزورُ الْمَرْضَى فِي آخِرِ المَدِينَةِ ، وَيقبَلُ

عُـذرَ المُعتَـذِرِ . وَكانَ يَبـدَأُ مَـن لَقِيَـهُ بِالسَّلامِ ، وَيَبدَأُ أَصحَابَهُ بِالْمُصافَحَةِ ، يُكرِمُ مَن يَدخُلُ عَلَيهِ ، وَيَبسُطُ لَهُ ثوبَهُ ، وَيقَدِّمُ لَهُ الْوِسادَةَ (المِخَدَّة) الَّتِى تَحتَهُ لِيَجلِسَ عَلَيها . وَلَا يَقطَعُ عَلَى أَحَـدٍ حَديثَهُ .

عَدْلُهُ وأَمانَتُهُ ، وعِفَّتُهُ وَصِدْقُ حَديثِهِ :

كَـانَ عَلَيـهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلامُ أَعـدَلَ النَّـاسِ ، وَأَكثَرَهُـم أَمانَـةً وعِفَّـةً ، وَأَصدَقَهُم قَولاً مُنذُ خُلِقَ . اِعتَرَفَ لَـهُ

بِذٰلِكَ أَعْداؤُهُ . وَكانَ يُسَمَّى الأَمينَ قَبلَ أَن يَكونَ نَبِيًّا . قَالَ تَعالَى : ﴿ فَإِنَّهُم لَا يُكَذِّبُونَكَ ، وَلٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآياتِ اللهِ يَجحَدُونَ ﴾ . أَىْ يُكَذِّبونَكَ مُكابَرَةً بِأَلسِنَتِهِم ، وَيُنكِرُونَ مَا هُوَ ثابتٌ فِى قُلُوبِهِم . قَالَ النَّضرُ بنُ الْحارِثِ لِقُريشٍ : كانَ مُحَمَّدٌ وَهُوَ غُلامٌ أَصدَقَكُم حَدِيثًا ، وأَعظَمَكُم أَمانَةً ، حَتَّى إِذا رَأَيتُمُ الشَّيبَ فِى صِدغَيْهِ ، وَجاءَكُم بِما جَاءَكُم بِهِ قُلتُم سَاحِرٌ . لَا ، وَاللهِ ما هُوَ بِسَاحِرٍ .

وَقد وَصَفَهُ عَلىُّ بنُ أَبِى طَالِبٍ بِأَنَّهُ أَصدَقُ النَّاسِ لَهجَةً (لِسَانًا) .

كانَ رَسُولُ اللهِ لَا يَأْخُذُ أَحَدًا بِذَنبِ أَحَدٍ . وَكانَ أَوقَرَ النَّاسِ فِى مَجلِسِهِ ، كَثيرَ السُّكوتِ ، لَا يَتَكَلَّمُ فِى غيـرِ حَاجَةٍ . وَكانَ ضَحِكُهُ تَبَسُّمًا ، وَكَلامُهُ فَصْلاً (حُكمًا) . مَجلِسُهُ مَجلِسُ حِلمٍ وَحَياءٍ ، وَخيرٍ وَأَمانَةٍ . أَدَّبَهُ رَبُّهُ فَأَحسَنَ تَأْدِيبَهُ ، وَمَدَحَهُ بِقَولِهِ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظيمٍ ﴾ .

المُصطَفَى يُحِبُّ النَّظافَةَ

أَتَى رَجُلٌ النَّبِيَّ مُغْبَرَّ الشَّعرِ ، غَيْـرَ مُنتَظِمِ الرَّأسِ وَاللِّحيَـةِ ، فَأَمَـرَهُ النَّبِـيُّ بِإِصلاحِ شَعَرِهِ فَفَعَلَ ، ثُمَّ رَجَعَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ : أَلَيسَ هـٰذَا خَيرًا (أَحسَنَ) مِن أَن يَأْتِيَ أَحَدُكُم ثائِرَ الرَّأْسِ (غَيرَ مُنتَظِمِ الشَّعرِ) كَأَنَّهُ شَيطانٌ ؟ » وَرَأَى الرَّسولُ رَجلاً عَلَيـهِ ثِيـابٌ قَـذِرَةٌ ، فَقَـالَ : « أَمَا كَانَ هـٰذَا يَجِدُ ما يَغسِلُ ثَوبَهُ » ؟ وَقالَ الرَّسولُ : « إِنَّ اللّٰهَ طَيِّبٌ يُـحِبُّ

الطيِّبَ ، نَظيفٌ يُحِبُّ النَّظافةَ ، كَريمٌ يُحِبُّ الكَريمَ ، جَوَادٌ يُحِبُّ الجَوَادَ ، فَنَظِّفُوا أَفنِيَتَكُم[1] ، وَلَا تَشَبَّهُوا بِاليَهودِ » .

فَالرَّسولُ يُحِبُّ النِّظامَ وَالنَّظافَةَ ، وَحُسنَ المَنظَرِ ، وَالرَّائِحَةَ الطَّيِّبَةَ ، وَيَكرَهُ سُوءَ النِّظامِ ، وَالوَسَاخَةَ وَالقَذارَةَ ، وَقُبحَ المَنظَرِ ، وَالرَّائِحَةَ الْكَريهَةَ .

والإِسلامُ يَدعُو إِلَى نَظافَةِ الجِسمِ وَالقَلبِ ، وَنظافَةِ المَلابِسِ ، وَالبُيوتِ

---

(١) فِناءُ الدَّارِ : مَا امتَدَّ مِن جَوَانِبِها . وَالجَمعُ : أَفنِيَةٌ .

وَالطُّرُقِ . وَهُوَ ضِدُّ القَذارَةِ ، وَإِلْقاءِ الفَضَلاتِ فِى الشَّوارِعِ فِى القُرَى وَالمُدُنِ . فَالنَّظافَةُ الَّتِى نُنادِى بِها اليَوْمَ نَادَى بِها الإِسلامُ مُنذُ أَربَعَةَ عَشَرَ قَرنًا تَقرِيبًا .

الرَّسُولُ فى عَمَلِهِ

كانَ الرَّسُولُ ﷺ مَثَلاً عالِيًا فى حَيَاتِهِ ، يُخلِصُ فى عَمَلِهِ الإِخْلاصَ كُلَّهُ حينَمَا يَعمَلُ لِيَكسِبَ عَيشَهُ ، وَيَتَّجِهُ إِلَى اللهِ بِكُلِّ جِسمِهِ وَقَلبِهِ وَروحِهِ حِينَما يَقِفُ أَمامَ اللهِ لِلعبَادَةِ ، عَمَلاً بِقَولِهِ تَعالَى :

﴿ وَابْتَغِ فِيما آتاكَ اللهُ الدَّارَ الآخِرَةَ . وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنيَا ، وَأَحسِنْ كَمَا أَحسَنَ اللهُ إِلَيكَ ﴾ .

وَقَد نَصَحَ لِأُمَّتِهِ الإسلامِيَّةِ بِنَصيحَتِهِ الذَّهَبِيَّةِ فى قَولِهِ : « اِعمَل لِدُنياكَ كَأَنَّكَ تَعيشُ أَبَدًا ، وَاعمَل لِآخِرَتِك كَأَنَّكَ تَمُوتُ غَدًا » .

فَالإِسلامُ يُنادِى بِالعَمَلِ لِلدُّنيا ، وَالعَمَلِ لِلآخِرَةِ ، وَبهٰذا المَبدَأِ نَجَحَ المُسلِمُونَ فى صَدرِ الْإِسلامِ ، وَكانوا قادَةَ العَالَمِ فى الأَفكَارِ وَالأَعمَالِ .